

مستقبل المشاركة السياسية لشباب التيارات السلفية في مصر (القواعد الشبابية لحزب النور أنموذجًا)



محمد يسري أبو هدور
باحث مصري

مؤمنين بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

ملخص:

الفرضية الرئيسة التي تتبنى عليها هذه الورقة البحثية، هي أن أحداث يونيو 2013م في مصر، وما استتبعها من سقوط للنظام السياسي الإخواني، قد أسفرت عن حدوث تغيير كبير وعميق في بنية جميع الحركات والأحزاب والجماعات السياسية المتواجدة على الساحة المصرية، وتوجهاتها وتطلعاتها.

ومن بين تلك الجماعات التي تأثرت بتلك الأحداث، تأتي الجماعات الإسلامية ذات التوجه السلفي في الصدارة، وكان السبب في ذلك بطبيعة الحال، أن هناك تشابهاً عميقاً في الأيديولوجيا والمعتقدات والتوجهات، ما بين تلك الجماعات من جهة، والنظام الإخواني الحاكم فيما قبل تلك الأحداث من جهة أخرى.

من بين جميع الجماعات والأحزاب الدينية التي كانت موجودة على الساحة السياسية المصرية فيما بعد ثورة يناير عام 2011م، يحتل حزب النور مكاناً مهماً؛ وذلك لما تمتع به من قدرات تنظيمية كبيرة، وإمكانات مادية ضخمة؛ ولقيامه على أيديولوجيا متميزة، مستمدة من مرجعية سلفية ذات حضور مؤثر في كثيرٍ من قطاعات الشعب المصري.

يحاول البحث أن يبين كيفية تأثر القواعد الشبابية في حزب النور بالتغيرات السياسية الكبرى التي حدثت على الساحة المصرية في عام 2013م، وتبيان أثر ذلك التغيير في مآلات علاقات تلك القواعد الشبابية بمرجعياتها الروحية وقياداتها التنظيمية من جهة، والسلطة القائمة من جهة أخرى.

وتنتهج الورقة منهجاً توصيفياً تحليلياً، يقوم على جمع المعلومات والبيانات النوعية والكمية، ثم نظمها في أطر وأنساق تتشكل عبر منهج استقرائي منضبط؛ في محاولة لاستشراف مستقبل القواعد السلفية الشبابية في مصر.

1- الدعوة السلفية بالإسكندرية: المرجعية الدينية لحزب النور

لا جدال في كون حزب النور من الأحزاب التي تقوم على أسس فكرية دينية واضحة، حيث تأسس الحزب معتمداً في بنيته وأهدافه وآلياته على أفكار المرجعية الدينية المتمثلة في الدعوة السلفية بالإسكندرية، ورؤاها وشعبيتها.

ولذلك، فإن أية دراسة تتناول الحزب السياسي، يجب ألا تتم بمعزلٍ عن مرجعيته الدينية ذات النفوذ الأكبر في تسييره وتحديد خطواته المستقبلية.

وفي السطور التالية، سنتطرق لمفهوم السلفية، ونتناول المحطات الرئيسة في تطور الدعوة السلفية بالإسكندرية.

1-1 السلفية: التعريف والمحددات

المعنى اللغوي للتسلف هو التقدم والأسبقية؛ فالسالف هو المتقدم. أما السلف، فهم الجماعة المتقدمون¹.

ويأخذ المصطلح شكلاً مختلفاً من حيث التعريف الاصطلاحي، إذ يُعرّف أحد أعلام المفكرين الإسلاميين المعاصرين، السلفية بأنها نزوع نحو «العصر الذهبي الذي يمثل نقاء الفهم والتطبيق للمرجعية الدينية والفكرية، قبل ظهور الخلاف والمذاهب والتصورات التي وفدت على الحياة الفكرية الإسلامية بعد الفتوحات، التي أدخلت الفلسفات غير الإسلامية على فهم السلف الصالح للإسلام...»².

وقد اختلف الباحثون الغربيون في تعريف السلفية، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى؛ القاسم المشترك بينها هو أنها لا تخلو من أوصاف التشدد أو التزمّت، والعنف والراديكالية³. ومن أفضل التعريفات التي وضعها الباحثون الغربيون للسلفية، ذلك الذي يعرفها على كونها «مدرسة فكرية أيديولوجية وقانونية إسلامية، تتميز بأنها تستقي - مباشرةً وبشكلٍ أساسي - من المصادر الأصيلة للإسلام، وهو ما يختلف مع مدارس إسلامية أخرى، تضع تلك المصادر في سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي، وتُعمل اجتهادها وفقاً للواقع الجديد الذي نعيشه»⁴.

1 ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) (ت. 711هـ)، لسان العرب، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ج9، ص158

2 محمد عمارة، السلف والسلفية، (القاهرة: وزارة الأوقاف، 2008م)، ص9

3 تامر طه بكر، السلفية بعيون غربية، (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 1436هـ)، ص48

4 JONATHAN A. C. BROWN: *Salafis and Sufis in Egypt*, (Washington: The Carnegie Papers, 2011), p. 6

2-1 التواجد السلفي في مصر

يمكن تحديد بواكير التواجد السلفي في مصر في العصر الحديث، مع قدوم الشيخ محمد رشيد رضا (1865-1935م) إلى مصر؛ إذ قام رضا عبر «مجلة المنار» بنشر الفكر السلفي الإصلاحي، ورفض الالتزام التامّ بالأفكار الغربية الحديثة لتوصيف المجتمع الناجح، وأصرّ على أن المجتمع الإسلامي في حاجة ملحة لإعادة تبني مبادئ التراث الإسلامي وليس نبذها⁵. وقد تأثر بدعوة رشيد رضا عددٌ كبير من رموز النخبة الإسلامية، وكان على رأس هؤلاء، حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فيما بعد.

غير أن الفكر السلفي لم يشهد تواجدًا حقيقيًا مكتمل الأركان في أوساط المجتمع المصري، إلا مع أوائل العقد الثاني من القرن العشرين؛ وذلك مع تأسيس كُلِّ من الجمعية الشرعية في ديسمبر من عام 1912م، وجماعة أنصار السنة المحمدية في عام 1926م، وكانا معًا يمثلان أقدم تيار سلفي مصري على الإطلاق، ثم تتابعت بعد ذلك العديد من الجماعات السلفية في الظهور على الساحة الفكرية والدينية.

وعلى الرغم من تباين الكثير من تلك الجماعات في التوجهات والمنهجية، إلا أنه يمكن حصرها في أنماط أربعة رئيسية، استقرت جميع الحركات السلفية عليها⁷، وهي:

- السلفية العلمية الدعوية.
- السلفية الحركية السياسية
- السلفية المدخلية.
- السلفية الجهادية.

3-1 الدعوة السلفية:

مع مطلع سبعينيات القرن العشرين، بدأ الرئيس محمد أنور السادات في إعطاء مساحة من الحرية لتنامي التيار الإسلامي في المجتمع المصري، كما سمح بظهور كوادر شبابية طلابية إسلامية التوجه في مختلف الجامعات المصرية. وأدت تلك الخطوة إلى تأسيس ما عُرف وقتها باسم جماعة الدراسات الإسلامية، والتي

5 أحمد عاطف أحمد، **فتور الشريعة**، ترجمة: طلعت فاروق، مراجعة: سعيد فارس حسن، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017م)، ص170.

6 أحمد سالم، **اختلاف الإسلاميين: الخلاف الإسلامي- الإسلامي (حالة مصر نموذجًا)**، (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016م)، ص48-52

7 المرجع نفسه، ص ص 45-46

تغير مسماها بعد فترة قصيرة إلى الجماعة الدينية، وعمل أعضاؤها على ممارسة بعض الأنشطة الإسلامية داخل أسوار الجامعات، والتي لم تتعدّ وقتها- نشر بعض المقالات، وتنظيم حفلات الإنشاد الديني.

وإمعاناً في التصدي للأفكار الماركسية والناصرية، قام السادات بخطوة مهمة، عندما قام بإطلاق سراح عدد من كوادر وقيادات جماعة الإخوان المسلمين، الذين زُجّ بهم في السجون إبان الفترة الناصرية.

ولم يمر كثير من الوقت، حتى حدث اتصال ما بين الكوادر الإخوانية وشباب الجماعة الدينية، التي كان مسماها قد تغير للمرة الثانية، ليستقر على الجماعة الإسلامية، وأتفق على أن ينضم هؤلاء الشباب إلى التنظيمات الهيكلية لجماعة الإخوان المسلمين، ووافقت أغلبية القيادات الشبابية على ذلك ورحبت به، وهو الأمر الذي فسره عبد المنعم أبو الفتوح فيما بعد - وكان أحد القيادات في الجماعة الإسلامية وقتها «بأن قيادات الإخوان من بين كل الاتجاهات الإسلامية كانت هي القادرة على أن تملأ أعيننا وقتها... فقد كان الإخوان المسلمون بالنسبة لنا أسطورة الصمود والصبر في مواجهة الظلم والجاهلية»⁸.

بيد أن هناك من قيادات الصف الثاني للجماعة الإسلامية، من لم يرض بهذا الدمج، وظهر ذلك الرفض بوضوح في صفوف القادة المتأثرين بالرؤية السلفية، والذين يذكر منهم أبو الفتوح -على وجه الخصوص - كلاً من محمد إسماعيل المقدم وأحمد فريد، وكلاهما كان من قادة الجماعة الإسلامية في الإسكندرية.⁹

وفي الفترة 1979-1980م، جرى الانفصال ما بين التيار السلفي السكندري من ناحية، والكتلة الرئيسية للجماعة الإسلامية، التي انضوت تحت لواء الإخوان المسلمين، من ناحية أخرى.

وتحت مسمى المدرسة السلفية، اشترك مجموعة من الشباب في تأسيس جماعتهم الخاصة، وكان أهم هؤلاء¹⁰، كلاً من:

• أبو إدريس محمد عبد الفتاح.

• محمد إسماعيل المقدم.

• أحمد فريد.

• سعيد عبد العظيم.

8 حسام تمام، عبد المنعم أبو الفتوح: شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر 1970-1984م، تقديم: طارق البشري، ط2، (القاهرة: دار الشروق، 2012م)، ص79

9 المرجع نفسه، ص89

10 أحمد سالم، اختلاف الإسلاميين، ص67

• أحمد حطيبة.

• ياسر برهامي.

وفي 1982م تحديداً، تغير مسمى الجماعة ليصبح (الدعوة السلفية)، وبدأ مؤسسوها في العمل لنشر أفكارها وتوسعة رقعة انتشارها، وكان ذلك عبر تأسيس معهد الفرقان لإعداد الدعاة، وإصدار مجلة صوت الدعوة، والاهتمام بالجوانب التعليمية والاجتماعية، وإنشاء المجلس التنفيذي لإدارة شؤون الدعوة، واللجان التابعة له.¹¹

1-4 منهج الدعوة السلفية وأسلوبها

يقول عبد المنعم الشحات -وهو أحد كبار قيادات الدعوة السلفية الحاليين- واصفاً جماعته: «الدعوة السلفية جماعة دعوية إصلاحية، تتبنى السلفية منهجاً، والعمل الجماعي المنظم أسلوباً...»¹².

وتتمثل أمارات المنهج السلفي في جماعة الدعوة السلفية بالإسكندرية في النقاط الآتية:¹³

• تقديم النص على العقل.

• رفض التأويل الكلامي للنصوص.

• كثرة الاستدلال بالقرآن.

ولا شك في تبني الدعوة لمنهجية سلفية خالصة، ولكن الخلاف يكمن في توصيف ونسبة الدعوة لواحدة من مدارس السلفية الأربع الكبرى؛ حيث يرى معظم الباحثين أنها تميل - وبشدة -، في طبيعتها ومنهجيتها وآلياتها، نحو السلفية الحركية. وإن ميل عدد من المراقبين لنسبتها للسلفية العلمية، إنما هو التباس وخطأ؛ منشأه أخذ الدعوة بمفهوم التصفية والتربية الذي يشغل حيزاً مركزياً في الطرح الألباني العلمي المتميز عن التوجه الحركي السياسي.¹⁴

أما أسلوب العمل الذي تسير عليه الدعوة السلفية، فهو محدد بإطار (العمل الجماعي)؛ فقد اهتمت الجماعة منذ نشأتها بأهمية العمل بشكل جماعي؛ إذ تعتقد قيادات الدعوة أنه لما كان هذا الزمان، لا توجد

11 معتز زاهر، من المسجد إلى البرلمان: دراسة حول الدعوة السلفية وحزب النور، (لندن: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، 2015م)، ص35

12 أحمد سالم، اختلاف الإسلاميين، ص65

13 أحمد فريد، السلفية: قواعد وأصول، (الإسكندرية: دار العقيدة، 2003م)، ص15-23

14 أحمد سالم، المرجع السابق، ص76

به حكومة مسلمة تطبق الإسلام على الوجه الصحيح، فإنه لا بد أن يقوم المسلمون، أو جماعة منهم، بإقامة الواجبات الشرعية التي لا يسع المجتمع المسلم تركها وإهمالها، مثل إقامة الجُمُع، وصلاة الجماعة في المساجد، وتعليم الشباب المسلم عبر الخُطب والدروس، وكذلك إرساء قيم التكافل الاجتماعي عبر سدّ حاجات المسلمين الرئيسة، ولا سيما الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى منهم¹⁵.

2- حزب النور: المحطات الرئيسة منذ التأسيس وحتى انتخابات 5102م

يمكن أن نحدد أربع مراحل رئيسية مرت بها المشاركة السياسية لحزب النور؛ إذ شهدت كلُّ منها عددًا من التمهصلات المميزة لعلاقة الحزب بالأحزاب والقوى الإسلامية المنتشرة على الساحة من جانبٍ، وموقف القواعد الشبابية من القرارات التي تتخذها مرجعياته وشيوخه من جانبٍ آخر.

ظلت الدعوة السلفية - ومنذ تأسيسها - مترددة في موقفها تجاه مسألة المشاركة في العمل السياسي عمومًا، والمشاركة في الانتخابات البرلمانية على وجه الخصوص، حيث اعتقد رموز الدعوة أنه يجب تطبيق الرؤية الدينية ومعاييرها بشكلٍ كامل عند المشاركة السياسية، وأنه لا يجوز أن تتم هذه المشاركة وفق قواعد (المتاح الوقتي) الذي تسمح به السلطة الحاكمة. لذلك، رفضت الدعوة ما أسمته (تسييسًا للدين)، وهو الأمر الذي عابته مرارًا على عناصر الإخوان المسلمين.

وفي مقال نُشر له عقب انتهاء انتخابات مجلس الشعب في 2010م، وهي تلك التي مُنيت فيها جماعة الإخوان المسلمين بهزيمة ثقيلة، قال عبد المنعم الشحات: «نرى إخضاع السياسة للدين، لا العكس، فإنّ أبى علينا السياسيون إلا أن نخضع ديننا لسياستهم، اعزلناهم هم وسياستهم، واستمررنا في الدعوة لله؛ حتى يقضى الله ما يشاء»¹⁶.

ومع اندلاع ثورة 25 يناير 2011م، عانت الدعوة السلفية من حالة التخبط التي انتابتها قادة وقواعد- في الأيام الأولى من الثورة. وأغلب الظن أن قيادات الدعوة قد ظنت أن ما يحدث لن يزيد عن كونه اضطرابات ووقفات لن تلبث أن يُقضى عليها تمامًا؛ ولذلك أثرت الدعوة ألا تشارك في الثورة، واكتفت القواعد السلفية الشبابية، التابعة بشكلٍ مباشر لمرجعيات الدعوة السلفية، بالعمل مع اللجان الشعبية، والتنسيق مع قوات الجيش التي نزلت إلى الشارع في مساء يوم الجمعة 28 يناير.

15 معتز زاهر، من المسجد إلى البرلمان، ص ص 54-55

16 أحمد زغول شلاطة، *الدعوة السلفية السكندرية: مسارات التنظيم ومآلات السياسة*، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016م)، ص 150.

وكان أول تحرّكٍ رسميٍّ لقيادات الدعوة، هو إعلانها عن عقد مؤتمر جماهيري حاشد يوم الثلاثاء 8 فبراير 2011م، شارك فيه عديدٌ من شيوخ الدعوة، وحضره الآلاف من الشباب السلفي السكندري، وجاء في توصياته الختامية تأكيدُ هُوية مصر الإسلامية، والدعوة لإلغاء قانون الطوارئ، وإصلاح المؤسسة الأمنية، بينما أغفل أيُّ حديثٍ عن التغيير السياسي، واكتفى البيان بـ «دعوة الجميع - حكام ومحكومين - إلى التوبة الجماعية الصادقة لله تعالى...»¹⁷.

2-1 التعديلات الدستورية وتأسيس الحزب:

كانت الدعوة إلى الموافقة على حزمة التعديلات الدستورية المقترحة من جانب المجلس الأعلى للقوات المسلحة في 19 مارس 2011م، هي أولى المعارك السياسية التي تخوضها الدعوة السلفية؛ فقد انضم مشايخ الدعوة ومرجعياتها إلى الصف الإسلامي الذي نادى جموع الشعب المصري، بضرورة الموافقة على تلك التعديلات؛ بهدف الحفاظ على الهوية الإسلامية للبلاد.

وكان النجاح الساحق الذي حققه الإسلاميون في معركتهم الأولى، أحد الأسباب التي جعلت شيوخ الدعوة السلفية يفكرون في إنشاء حزب سياسي يتوافق مع الخطوط الرئيسة لدعوتهم؛ فقد اقترح عماد عبد الغفور إنشاء حزب النور على كبار مشايخ الصف الأول من الدعوة، وتمت الموافقة على الفكرة، وبعدها أُعلن عن قيام الحزب رسميًا في 24 مايو 2011م.

وكان من الطبيعي أن يتدفّق شباب الدعوة السلفية للالتحاق بالحزب، بعد أن دعاهم شيوخهم إلى ذلك، وشجعوهم عليه.

2-2 الانتخابات البرلمانية 2012/2011م:

كانت الانتخابات البرلمانية، التي أُقيمت على ثلاث مراحل، بدءًا من يوم 28 نوفمبر 2011م، وانتهاءً بيوم 11 يناير 2012م، هي أولى المنافسات السياسية التي يخوضها حزب النور بعد تأسيسه.

وقد استطاع حزب النور في تلك الانتخابات أن يحصد أصوات ما يقرب من سبعة ملايين صوت انتخابي، وأن يستحوذ على ما يقرب من 22% من إجمالي المقاعد، التي جرى التنافس عليها، ليأتي في

17 "البيان الختامي لمؤتمر الدعوة السلفية بشأن ثورة الغضب"، اليوتيوب، 10/2/2011، شوه في 10/5/2017، في: <https://gl.goo/yn6Lro>

كل تلك النقاط مجتمعة تبين أن النسبة الكبيرة، التي حظيت بها ترشيحات حزب النور في الانتخابات البرلمانية في 2011/2012م لا يمكن اعتبارها معبراً حقيقياً عن وزن أو قوة حزب النور والدعوة السلفية في الشارع السياسي المصري حينذاك، بل إنه لا يمكن تفسير وتبرير تلك النسبة إلا وفق سياقات اجتماعية وسياسية موضوعية، تتعلق بالأوضاع السائدة وقتها.

2-3 الانتخابات الرئاسية 2012م، وما استتبعها حتى بيان 3 يوليو 2013م:

اتسمت تلك المرحلة بحدوث تغيرات جذرية في قيادة حزب النور وتنظيمه، مما نتج عنه تذبذب العلاقة ما بين الحزب والإخوان المسلمين من ناحية، وما بين الحزب وباقي القوى الإسلامية من ناحية أخرى.

بدأت تلك المرحلة عندما أعلن حزب النور في 28 أبريل 2012م عن دعمه لعبد المنعم أبي الفتوح في انتخابات رئاسة الجمهورية¹⁹، وهو الأمر الذي أدى إلى استهجان القوى الإسلامية التي كانت قد اتفقت على ترشيح محمد مرسي مرشح الحرية والعدالة.

ومن المؤكد أن اختيار الحزب لمرشحه، لم يحظَ بقبولٍ كامل وسط القواعد السلفية التابعة له، فلم يتجاوز عدد من صوّتوا لأبي الفتوح في الإسكندرية -معقل الدعوة والحزب- في المرحلة الأولى من الانتخابات، 400 ألف ناخب، وهو رقم أقل بكثيرٍ من الأصوات التي حصلت عليها قوائم حزب النور في الانتخابات البرلمانية.

وفي المرحلة الثانية من الانتخابات، اضطر الحزب لدعم مرشح الحرية والعدالة؛ وذلك بعد أن انحسر الصراع فيها بينه، وبين أحمد شفيق الذي مثّل النظام السياسي القديم حينذاك.

وبعد تولي مرسي للرئاسة بشهرٍ واحد تقريباً، وفي غشت/ أغسطس 2012م، وقع الصدام الأول ما بين حزب النور ومؤسسة الرئاسة، بعد أن أصدر الحزب بياناً غاضباً، جاء فيه: «أنه فوجئ بعد تنصيب الرئيس، بالانقطاع الكامل عن عملية التفاهم والتواصل»²⁰.

وكرّد فعل على هذا البيان، عُيّن ثلاثة من كوادر حزب النور في بعض المناصب الاستشارية الملحقة بالفريق الرئاسي.

19 معتز زاهر، من المسجد إلى البرلمان، ص124

20 "النور: فوجئنا بانقطاع تواصل مؤسسة الرئاسة معنا عقب تنصيب مرسي"، المصري اليوم، 2012/8/3، شوهده في 2017/5/20، في: <https://goo.gl/yO07Ba>

في تلك الأثناء، كان صراع حادّ يدور ما بين قيادات الحزب من جهة، والشيخ ياسر برهامي وأتباعه من جهة أخرى، وكان محور الصراع هو التنازع على طريقة إدارة الحزب وحدود العلاقة ما بين هيكله التنظيمي ومرجعيات الدعوة السلفية، وهو ما أسفر في النهاية عن استقالة 150 عضواً من الحزب، على رأسهم رئيسه عماد عبد الغفور ونائبه يسري حماد، وقيامهم بتأسيس حزب الوطن في 1 يناير 2013م.²¹

وبطبيعة الحال، فقد وقعت أغلبية الشباب السلفي التابع للحزب في صف المرجعية الدينية، واختارت أن تتخلى عن القيادات التنظيمية التي تركت الحزب، وكان السبب في ذلك هو أن هؤلاء الشباب كانوا قد انضموا أصلاً للحزب بعد توجيههم من جانب شيوخ الدعوة، وكانوا يبحثون عن القيادة الشرعية أكثر مما يبحثون عن قيادة سياسية.

وفي ظل تلك الأوضاع المضطربة، قدّم حزب النور في 30 يناير 2013م مبادرته المطالبة بعزل حكومة هشام قنديل، وتشكيل حكومة وحدة وطنية، وعزل النائب العام، وتعديل الدستور. وقبلت الأحزاب والحركات العلمانية والليبرالية، المتجمعة تحت اسم جبهة الإنقاذ، تلك المبادرة التي وفّرت غطاءً شرعياً؛ لتبرير أعمال العنف ضد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين وحزب الحرية والعدالة، وهو الأمر الذي أدى إلى تصاعد نبرة الاحتجاج والتذمر من جانب القوى الإسلامية تجاه حزب النور.²²

وفي 17 فبراير، وقعت أزمة جديدة ما بين الحزب السلفي والرئاسة، عندما أقيل خالد علم الدين من منصبه كمستشار للرئيس لشؤون البيئة، وبررت الرئاسة ذلك: «بما توافر لديها من معلومات، رأت معها استحالة استمراره في أداء دوره؛ حفاظاً على المكانة التي تتمتع بها مؤسسة الرئاسة».²³

وفي السادس والعشرين من الشهر نفسه، وجّه رئيس الحزب الجديد يونس مخيون على الهواء مباشرةً في جلسة الحوار الوطني، اتهامات لرئيس الجمهورية بما أسماه أخونة الدولة، والمحاباة في تعييناتهم في العديد من المناصب المهمة من دون غيرهم.²⁴

ومع اقتراب موعد مظاهرات 30 يونيو، والتي دعا منظموها إلى إسقاط رئيس الجمهورية المنتخب، أعلن حزب النور عن رفضه للمشاركة في تلك التظاهرات، وتأكيداته للشرعية الدستورية لمحمد مرسي؛

21 محمد أبو رمان وآخرون، التحولات السلفية، ص17

22 معتز زاهر، من المسجد إلى البرلمان، ص126

23 "إقالة مستشار الرئيس للبيئة بعد استغلاله منصبه... علم الدين يعقد مؤتمراً صحفياً اليوم وينتظر تقارير الرقابة"، الأهرام، شوه في 2017/5/20، في: <http://www.ahram.org.eg/archive/Print.aspx?ID=200938>

24 "دكتور مخيون يهدد بالانسحاب من الحوار الوطني"، اليوتيوب، 2013/2/26، شوه في 2017/6/15، في: <https://goo.gl/3dIp7j>

بصفته رئيساً منتخبا لمدة أربع سنوات، وأن الحالات التي حددها الدستور، والتي يُعزل فيها الرئيس، لا تنطبق أيُّ منها عليه.²⁵

ولكن بعد إصدار بيان القوات المسلحة في الأول من يوليو، قام الحزب بالدعوة إلى إعلان موعد لإجراء انتخابات رئاسية مبكرة وتشكيل حكومة محايدة، وكانت هذه الدعوة بمثابة مقدمة تمهيدية لظهور الأمين العام للحزب جلال المُرّة مع وزير الدفاع وشيخ الأزهر وبابا الإسكندرية، وعددٍ من رموز القوى السياسية الداعية للمظاهرات، في بيان الثالث من يوليو، والذي أعلن فيه عن عزل مرسى.

4-2 من الثالث من يوليو إلى الآن:

شهدت المرحلة، التي أعقبت عزل محمد مرسى، تدهورًا كبيرًا في شعبية حزب النور وسط قواعده الشبابية السلفية من ناحية، والمجال الحيوي المتعاطف مع الفكر السلفي والاتجاه الديني بشكلٍ عامٍّ من ناحيةٍ أخرى؛ فمشاركة الحزب في بيان الثالث من يوليو أحدثت قطيعةً كبرى ما بين مرجعياته وباقي مراجع وشيوخ تيار الإسلام السياسي في مصر، وهو الأمر الذي تجلّى بوضوح في مواقف وبيانات كُُلٍّ من جماعة الإخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية، وحزب الأصالة السلفي، والجمعية الشرعية للحقوق والإصلاح، ومجلس شورى العلماء، والتيار الإسلامي العام، والجبهة السلفية، وغير ذلك من التيارات التي وقفت في صف الرئيس المعزول، وشكلت ما يُعرف باسم التحالف الوطني لدعم الشرعية؛ حيث نظرت جميع تلك القوى لحزب النور على أنه العنصر الإسلامي الوحيد الذي أثر التحالف مع التيارات المدنية والعلمانية وقيادات الجيش، وهو ما جعل الكثير من رموز الإسلام السياسي في مصر تنتهم قيادات الحزب بالعمالة والخيانة والنفاق.

ذلك الانقسام سرعان ما طال حزب النور نفسه؛ فعقب أحداث فضّ اعتصامي رابعة والنهضة في 14 غشت/ أغسطس 2013م، رفض الكثير من كبار أعضاء الحزب ما اعتبروه مشاركة في دماء المعتصمين، وتبع ذلك إعلان العديد من أعضاء الهيئة العليا للحزب الاستقالة، وفقد الحزب كذلك ظهورًا شعبيًا قويًا باستقالة الشيخ عليّ غلاب من مجلس إدارة الدعوة السلفية عن محافظة مطروح، وما تبع ذلك من انفصال أغلب أعضاء الحزب من تلك المحافظة عن مرجعياته الأصيلة في الإسكندرية.²⁶

25 أحمد زغلول شلاطة، الدعوة السلفية بالإسكندرية، ص165

26 المرجع نفسه، ص167

إن الشقاق الذي أصاب الحزب، وصل أيضًا إلى مرجعيته الدينية العليا؛ ففي الوقت الذي أعلن فيه الشيخ سعيد عبد العظيم وأحمد السيسي عن وقفهما إلى جانب شرعية الرئيس المعزول، ونددا بفضّ الاعتصامات²⁷، وشاركوا في عددٍ من التظاهرات التي أعقبت عملية الفضّ، فإن بعض كبار الشيوخ، مثل محمد إسماعيل المقدم وأبي إدريس، لم يعلقوا على الأحداث وتذرعوا بالصمت، واكتفى الشيخ أحمد حطّية بالدعوة إلى حقن الدماء وضرورة الإصلاح ما بين المسلمين، وعلى الجانب المقابل وقف ياسر برهامي في صف تأييد سياسات الحزب الداعمة لبيان الثالث من يوليو.

كل تلك الخسائر المتتالية التي تكبدها حزب النور على صعيد شعبيته وقواعده الجماهيرية، كان في وسع قيادات الحزب نفيها والادعاء ببطلانها وزيفها، ولكن بعد الإعلان عن النتائج النهائية للانتخابات البرلمانية في 2015م، لم يعد هناك مجالٌ للتشكيك في خسارة الحزب للكثير من مناصريه وناخبيه؛ إذ أظهرت النتائج حصول الحزب السلفي على نسبة 2% من إجمالي مقاعد مجلس النواب، وذلك بعد نجاح 12 من مرشحيه فقط²⁸ من أصل 596 عضوًا يشكلون البرلمان المصري، وهو الأمر الذي فتح الباب واسعًا أمام إثارة العديد من التكهنات المتعلقة بمستقبل الحزب من جانب، ومستقبل المشاركة السياسية لقواعده الشبابية السلفية من جانب آخر.

3- المحددات الداخلية والخارجية لمستقبل المشاركة السياسية للقواعد الشبابية في حزب النور:

في هذا القسم من الدراسة، سنعمل على محاولة التنبؤ بمستقبل المشاركة السياسية للقواعد الشبابية بالحزب، من خلال وضع المحددات والمتغيرات التي من الممكن أن تؤثر على عملية المشاركة السياسية للقواعد الشبابية السلفية في حزب النور.

ومما ينبغي الالتفات إليه قبل التطرق لتلك المحددات، أنها تختلف في طريقة تأثيرها على الحالة محل الدراسة، كما أنها تتباين من حيث فاعليتها، وحجم تأثيراتها المتوقعة، والمدى الزمني الذي قد تصل فيه تلك التأثيرات لمرحلة إحداث فوارق كيفية حقيقية، من شأنها أن تحدث تغيرات ملموسة على أرض الواقع.

27 "مفاجأة أكبر وأقوى انتقاد من الشيخ سعيد عبد العظيم رمز الدعوة السلفية بالإسكندرية لانقلاب والنور"، اليوتيوب، 15/11/2013، شوهد في 10/6/2017، في: <https://gl.goo/HP4Hkz>

28 «الخريطة النهائية للأحزاب والمستقلين تحت القبة: «المصريين الأحرار» الأول ب 65 مقعداً.. يليه «مستقبل وطن» ب 50.. و«الوفد» الثالث ب 40»، الوطن، 2015/12/4، شوهد في 2017/5/22، في: <https://goo.gl/GndKt3>

3-1 تطور الوضع السياسي في مصر:

من المؤكد أن حدوث تطور إيجابي في الأوضاع السياسية في مصر، من شأنه أن يفتح الباب أمام حدوث مشاركة حقيقية من جانب العديد من الأحزاب، التي تتوافر لها قواعد شبابية كثيفة، ومنها حزب النور الذي يقف في الطليعة منها.

وبالنظر إلى الأوضاع السياسية القائمة في مرحلة ما بعد الثالث من يوليو 2013م، فإنه يبدو واضحاً أن هناك تضيقاً يُمارس ضد أي نوع من أنواع المشاركات السياسية الفعالة.

وفي حالة أن استمرت القبضة الأمنية القوية للدولة تمسك بزمام الأمور على هذا النحو، فمن المتوقع أن يتراجع دور المشاركة الحزبية برمتها، وأن تتفتت القواعد الجماهيرية للأحزاب، تلك التي تكونت وتشكلت في الفترة الواقعة ما بين 25 يناير 2011م وحتى 30 يونيو 2013م.

وقد تبدت إرهابات ذلك بجلاء في حجم المشاركة الجماهيرية في الانتخابات البرلمانية الأخيرة في 2015م؛ حيث لم تزد نسبة المشاركة فيها عن 28%، وهي نسبة أقل بكثير من مثيلاتها التي تحققت في الاستحقاقات الدستورية في مرحلة الزخم الثوري الواقعة ما بين ثورتي يناير ويونيو.

كل ذلك يؤكد أن الفترة القصيرة القادمة، لن تشهد مشاركة سياسية فعالة من جانب القواعد الشبابية في حزب النور، وإنها قد تقتصر على مشاركة محدودة من جانب عدد من كوادره وقياداته، وأن دور الحزب ككل لن يزيد عن إصدار بعض البيانات والتعقيبات، والإدلاء ببعض التصريحات، ومناقشة بعض القوانين داخل أروقة البرلمان وغرفه المغلقة.

ومن العوامل التي قد تؤثر على تطور المشهد السياسي المستقبلي في مصر، حدوث مصالحات ما بين النظام القائم وجماعة الإخوان المسلمين، فمن الممكن أن تُسفر هذه المصالحة عن تهدئة لحالة الاحتقان الأمني القائمة في البلاد حالياً، وهو ما قد ينتج عنه إسهام ملموس في التشجيع على المشاركة السياسية للأحزاب والتيارات الإسلامية عموماً، ومنها حزب النور على وجه الخصوص، وذلك بوصفه محسوباً على تيار الإسلام السياسي من ناحية، ولكون قواعده سوف تتحرر من تهمة العمالة والخيانة، التي لطالما وجهتها لهم التيارات الدينية السياسية المعارضة للنظام الحالي من ناحية أخرى؛ مما يُسهم في تعاطي قواعد الحزب إيجابياً مع فكرة المشاركة السياسية.

ولكن في ظل حدة الصدام القائم ما بين الدولة وجماعة الإخوان المسلمين من جهة، وتوسيع رقعة المواجهة لتشمل قوى إقليمية خارجية من جهة أخرى، فإنه يبدو أن الوصول لحالة من حالات التسوية ما بين الطرفين ما يزال أمراً صعب المنال.

ومن العوامل المؤثرة - كذلك - في مستقبل المشاركة السياسية لشباب حزب النور، موقف جميع الأحزاب السياسية منه حالياً؛ ذلك أن الحزب السلفي يتعرض لحالة (عزلة سياسية حزبية).

فالحزب الذي فشل في الحصول على أكثر من 12 مقعداً برلمانياً في الانتخابات الأخيرة، لم ينجح في الدخول في أيّ ائتلافٍ برلماني، بعد أن رفضت جميع الأحزاب التحالف معه²⁹، وهو الأمر الذي أسفر عن تهميش دور الحزب في الواقع السياسي المصري، وعدم ممارسته لأيّ دورٍ مؤثر في صناعة القرارات السياسية التي تخرج من تحت قبة البرلمان.

ومن ثَمَّ، فإن كل الاحتمالات الخاصة بتطور الأوضاع السياسية في مصر، تبدو أنها تتعارض مع إمكانية حدوث مشاركة سياسية إيجابية من قِبَل القواعد الشبابية لحزب النور في المستقبل القريب.

3-2 تغيير أفكار المرجعيات الدينية للقواعد الشبابية في الحزب:

تُعدّ مسألة تغيير أفكار المرجعيات الدينية للقواعد الشبابية لحزب النور، من أهم المحددات التي قد تنبني عليها الرؤية المستقبلية للمشاركة السياسية لتلك القواعد.

وكما بيّنا في القسم الثاني من الدراسة، كانت الأحداث الجسام التي مرت بالساحة السياسية في مصر، وموقف قيادات حزب النور إزاءها سبباً في حدوث حالة من حالات الانقسام والخلاف الحادّ بين مرجعيات الحزب والدعوة السلفية وبعضهم بعضاً، وهو ما نتج عنه أمران مهمان، وهما:

الأول: ضعف تأثير مرجعية الدعوة في نفوس القواعد الشبابية لها.

والثاني: التحول الفكري الذي أصاب قطاعاً كبيراً من شباب الحزب والدعوة؛ مما جعلهم يتبعون مدارس سلفية أخرى موجودة على الساحة السلفية المصرية.

29 "برلمانی پرصد 4 أسباب تجعل النور وحيداً تحت القبة"، برلمانی، 5/12/2015، شوهد في 10/6/2017، في: <https://goo.gl/hfofiz>

بالنسبة إلى النقطة الأولى، يمكن تفسيرها بحالة الضعف التي أصيبت بها مرجعيات الدعوة عقب مشاركة قيادات الحزب في إعلان الثالث من يوليو 2013م؛ إذ تعرضت مرجعيته الدينية لهزة كبرى، بعد أن ظهرت في موقفٍ برجماتي لا يتسق مع الثوب الديني الذي لطالما سعت للانتشاح به.

وبعد الخسائر الفادحة التي تعرض لها حزب النور في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، ظهرت بعض الدعوات من داخل الحزب؛ للمناداة باعتزال السياسة بشكلٍ نهائي، والعودة للعمل الدعوي.

كل هذا، أدى إلى انقسام مرجعية الحزب واهترائها، حتّى إن الحزب الذي أسّس في 2011م، بدعمٍ مباشر وصريح من كبار شيوخ السلفية في مصر وقتها، لم يتبقّ له الآن سوى أبيه الروحي ياسر برهامي، وانصرف عنه أغلب شيوخ الدعوة السلفية، الذين وجهوا اهتمامهم مرّة أخرى للعمل الدعوي والتعليمي، بعيداً عن السياسة.

بل إنّ برهامي، صار في الفترة الأخيرة -وخصوصاً عقب الانتخابات البرلمانية الأخيرة- قليل الظهور في الوسائل الإعلامية المختلفة، والتي اعتاد على الظهور فيها، وهو ما يعبر عن اتجاهٍ للانسحاب تدريجياً من المجال السياسي هو الآخر.

أما بالنسبة إلى النقطة الثانية، والخاصة بالتحويلات الفكرية في صفوف قطاعات واسعة من قواعد الحزب الشبابية، فيمكن تفسيرها بأن مُجمل ما حصله تيار الإسلام السياسي، الذي اشترك في العملية السياسية في مصر في الفترة ما بين يناير 2011م ويونيو 2013م عمومًا، وحزب النور بوجهٍ خاصٍّ، جعل مرجعيات الحزب عُرضةً للانتقاد الشديد من جانب كُلٍّ من تيار السلفية المدخلية والسلفية الجهادية. فأما بالنسبة إلى التيار السلفي المدخلي، الذي أعلن شيوخه مرارًا عن خطأ الانغماس في العمل السياسي، فقد وجدوا الفرصة سانحةً لانتقاد حزب النور، وانتقاد مرجعياته وتوجيه اللوم لهم، وقد أدى ذلك لأن يبدأ كثيرٌ من شباب الحزب والدعوة السلفية في التحول شيئًا فشيئًا نحو الفكر المدخلي؛ ومما ساعد على ذلك أن الكثير من مرجعيات السلفية المدخلية في مصر، من أمثال محمد سعيد رسلان، ومحمود عبد الرازق الرضواني، وأسامة القوصي لهم حضور مميز ومؤثر في الشارع السلفي المصري.

وأما بالنسبة إلى التيارات السلفية الجهادية - على الجانب الآخر -، فقد تعرض كُلٌّ من الحزب والدعوة لحملة انتقادات واسعة من جانب تلك التيارات، التي أعلن معظمها عن مساندة جماعة الإخوان المسلمين، والتخندق معهم في خندقٍ واحد عقب الإطاحة بالرئيس محمد مرسي؛ حيث أُعيد تنشيط معظم الجماعات

المتفرعة عن الخط الجهادي، ووجهت قيادات تلك الجماعات نقدًا لاذعًا لمرجعيات الدعوة السلفية، واتهمتهم مرارًا بالنفاق والعمالة؛ مما أدى لأن يترك الكثير من شباب حزب النور مرجعياته وشيوخه، ويتجهون للانخراط في التنظيمات الفكرية الراديكالية التي تنتهج العنف والمعارضة المسلحة لسلطات الدولة.

وعلى الرغم من افتقارنا لأيّ أرقام دقيقة تعبر عن تلك التغيرات والتحويلات الفكرية التي طرأت على الكثير من شباب الحزب، إلا أن الكثير من الدراسات الحديثة قد أثبتت أن العديد من رموز العمل الجهادي، على الصعيد العالمي، قد تحولوا لاعتناق الأفكار الجهادية، من دون المرور بأية مرحلة تمهيدية³⁰. لذلك، فمن الممكن أن تكون القواعد الشبابية بحزب النور أرضًا خصبةً لدعم الحركات الراديكالية، ومن أهم الشواهد التي تؤكد حدوث ذلك التغير ووقوعه، اشتراك أعداد كبيرة من شباب الحزب في العديد من التظاهرات المتكررة التي دعا لها تحالف دعم الشرعية.

إن تغيير أفكار مرجعيات الحزب وانصرافها عن الشأن السياسي من جهة، وتأثر القواعد الشبابية للحزب بكُلٍّ من التيارين السلفي المدخلي والسلفي الجهادي من جهةٍ أخرى، من شأنهما أن يؤثرًا كثيرًا على حجم المشاركة السياسية المستقبلية لقواعد الحزب الشبابية وطبيعتها، وذلك من ناحيتين:

1- من حيث القوة العددية: فمن المؤكد أن تتناقص جماهيرية الحزب، وأن يقلَّ عدد المنتسبين إليه.

2- من حيث شكل المشاركة السياسية: فمن المتوقع أن يتجّه شكل المشاركة السياسية لقواعد الحزب، للأشكال الآتية:

- اللامبالاة، والمقاطعة، والابتعاد التام عن الشأن السياسي، وذلك بالنسبة إلى القطاع الذي سيتأثر بأفكار مرجعيات وشيوخ السلفية المدخلية.
- التطرف، ومعاداة الدولة، واللجوء للأساليب العنيفة والراديكالية، وذلك بالنسبة إلى القطاع الذي سيتأثر بأفكار السلفية الجهادية.
- المشاركة النمطية المحدودة والفاترة، وذلك بالنسبة إلى الكتلة التي ستظل على ولائها القديم لأفكار مرجعيات حزب النور والدعوة السلفية.

30 أحمد مبارز وآخرون، علامات في طريق القتال: ما تفصح عنه حياة مائة جهادي عن حركة عالمية. ترجمة: شريهان سعد، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، 2017م)، ص55

3-3 تحقيق نمو اقتصادي في مصر:

من المؤكد أن تحسّن المستويات الاجتماعية والاقتصادية في مكان ما، من شأنه التشجيع على تنمية المشاركة السياسية من قِبَل جموع الناخبين به.

ففي كتابه «الموجة الثالثة للديمقراطية»، يؤكد صمويل هنتنجتون أن متابعة التحولات الديمقراطية في العالم خلال الربع الأخير من القرن العشرين، أوضحت أن الدول التي حققت معدلات تنمية اقتصادية فوق المتوسط، قد شهدت ميلاً للديمقراطية، وهو الأمر الذي يعني أن «الفقر يمثل عقبة كأداء أمام التطور الديمقراطي، وأن تعزيز الديمقراطية يعتمد على تحسين مستوى التنمية الاقتصادية، وأن العقبات التي تقف في وجه التنمية، هي عقبات في طريق الديمقراطية»³¹.

وعلى هذا، فإن حدوث تنمية اقتصادية حقيقية في مصر في الفترة القادمة، من الممكن أن يكون عاملاً مساعداً في تعزيز المشاركة السياسية الإيجابية للشباب المصري عموماً. ولكن هناك الكثير من النقاط التي تؤكد أن حدوث مثل تلك التنمية المنشودة، لن يكون أمراً من السهولة بمكان؛ وذلك لوجود العديد من العراقيل والصعوبات، ومنها:

- تعطل قطاع السياحة.
- تحرير سعر الصرف.
- تراجع الاستثمار الأجنبي.
- زيادة نسبة التضخم.
- العمل على تقليل عجز الموازنة، عن طريق رفع الدعم عن بعض السلع الأساسية.

كل تلك العوامل مجتمعة أسهمت - وسوف تسهم - في إحداث ضغط كبير على الطبقة الوسطى في المجتمع المصري، وهو ما سيؤدي بالتبعية إلى إهمال المشاركة السياسية، والاكتفاء بمحاولة تحسين الأوضاع المعيشية.

31 عمار علي حسن، "جدلية العلاقة بين الديمقراطية والتنمية"، الديمقراطية، 2014/8/31م، شوهد في 2017/6/1، في: <https://goo.gl/fQpV0r>

ولما كانت الطبقة العريضة من القواعد الشبابية لحزب النور، هي في حقيقة الأمر من ضمن الطبقات الوسطى أو تحت الوسطى في المجتمع المصري، فإنه من المتوقع أن تنسحب العديد من عناصره من مجال المشاركة في العمل السياسي، وأن يتحول شكل الممارسة السياسية لديهم إلى اللامبالاة أو التهميش.

على الجانب الآخر، فإنه من الممكن أن تُسهم الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي تمر بها البلاد، في دفع شباب الحزب للمشاركة - بشكلٍ أو بآخر - في حالة حدوث ثورة أو اضطرابات مجتمعية عنيفة. ومن المتوقع في تلك الحالة تحديداً، أن تشارك طبقةً عريضةً من شباب الحزب في الأحداث، وأن تأخذ المشاركة شكلاً راديكالياً عنيفاً، ولكن تظل تلك الاحتمالية ضعيفة وبعيدة عن التحقق، وذلك لعدة أسباب، منها:

- إحكام القبضة الأمنية على البلاد، وتجفيف التربة الثورية فيها على مدار الأربعة أعوام الماضية.
- إن الأفكار الرئيسة التي تحدد منهجية الدعوة السلفية وحزب النور في مثل تلك الأحداث، تنادي بضرورة عدم الانسياق فيها، وحتمية البعد عنها، واعتبارها فتنة ينبغي اتقاء شرّها.

ومعنى ذلك، أنه في حالة حدوث موجات ثورية جديدة في مصر، فإن مشاركة شباب الحزب فيها، من المرجح أن تحدث قطيعة تامة مع أفكار ومحددات الدعوة السلفية الأصيلة، وهو الأمر الذي قد يعني بالتبعية انسلاخ جزء كبير من شباب الحزب من انتماءاته الفكرية القديمة، وفقدان الحزب للكثير من قواعده الشعبية الشبابية.

3-4 الصراع مع مكونات النظام السياسي في مصر:

على الرغم من أن حزب النور قد عقد شراكةً مع النظام الحالي، تلك التي ابتدأت رسمياً منذ إعلان عزل الرئيس الأسبق محمد مرسي في الثالث من يوليو 2013م، إلا أن الكثير من المكونات السياسية والإعلامية المحسوبة على هذا النظام ما تزال توجه سهام النقد للحزب بكل وسيلة ممكنة³². فرغم حضور الحزب المؤثر في مشهد عزل مرسي، من خلال القيادي جلال المرّة؛ إلا أنه - وبعد مضي أكثر من ثلاثة أعوام على ذلك البيان- بات واضحاً أن النظام الجديد لم يكن ينوي إعطاء السلفيين الأهمية التي كانوا يأملون فيها؛ فقد حُرِّموا من أي تمثيلٍ وزاري في حكومة الببلاوي الانتقالية، ولم يُمنَحوا إلا مقعداً واحداً من أصل خمسين مقعداً في الجمعية الدستورية التي عُيِّنَتْ لتعديل الدستور في صيف 2013م.

32 شلاطة، الدعوة السلفية، ص134

كما أن معظم مكونات النظام السياسي المؤسسي في مصر حالياً، ترى أن حزب النور عنصرٌ دخيل على ائتلاف الحركات السياسية التي شاركت في حراك الثلاثين من يونيو 2013م، وتعتقد معظم تلك الحركات أن الحزب السلفي لم ينضم إليها إلا بموجب مصالح برجماتية بحتة، وأن بنيته ومنطلقاته الفكرية لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها الخاصة بجماعة الإخوان لمسلمين.

وبالنظر المتفحصة في مكونات النظام السياسي الحالي، نستطيع أن نحدد ثلاثة اتجاهات رئيسة تهاجر بمناصبه حزب النور والدعوة السلفية العداء، تلك الاتجاهات هي:

1-4-3 المؤسسة الدينية الرسمية:

حيث تُعدّ المؤسسة الدينية الرسمية، بجناحيها المتمثلين في كُلٍّ من الأزهر ووزارة الأوقاف، من أكثر عناصر النظام الحالي عداوةً لحزب النور؛ فقد عمل علماء الأزهر على انتقاد الحزب ومراجعته الدينية ورموزه، ووجهت لهم سهام التشكيك والنقد، تلك التي طالت دراساتهم الدينية وصلاحياتهم للفتوى والخطابة.

كما أن وزارة الأوقاف قد عملت على التضييق على المساحة المتروكة لرموز الدعوة والحزب، عندما عملت على إصدار عدد من القوانين والمراسيم التي تنصّ على ضرورة أن يكون الأئمة من خريجي الأزهر وحدهم دون غيرهم، ومنحت الوزارة ترخيصاً مؤقتاً لبعض مشايخ الدعوة السلفية الكبار، وتتبع في الوقت ذاته بعض الدعاة المحسوبين على الدعوة الذين يمارسون الخطابة والدعوة بدون تصريح.³³

إن إصرار وزارة الأوقاف على منع الدعاة السلفيين من ارتقاء منابر المساجد؛ بسبب التأثير القوي الذي أحدثته مرجعيات الحزب والدعوة من قبلُ في الفترة التي أعقبت سقوط مبارك؛ إذ تحاول الوزارة، بمواقفها المتشددة حاليًا إزاء كوادِر حزب النور، أن تقلّم أظافرهم وتجردهم من أهمّ أسلحتهم الفعالة، وذلك ليس للقضاء على المعارضة الدينية المحتملة للنظام وحسب، بل أيضًا للقضاء على أية مقاومةٍ مستقبلية قد تنبثق عن الأحزاب والجماعات الدينية المختلفة، والتي يقف حزب النور على رأسها.³⁴

كما يُلاحظ أنه وفي أثناء بعض الصدمات التي تحدث ما بين المكونات الأصلية للنظام السياسي القائم وبعضها بعضاً، أنه يتم إقحام حزب النور في سياق المحاجة والمزايدة، وقد وضع ذلك بشكل كبير في بعض

33 على سبيل المثال، "وكيل وزارة الأوقاف بالإسكندرية يوقف درس الشيخ حاتم فريد ويحذر محضراً"، يوتيوب، 18/2/2017، شوهد في 20/5/2017، في: <https://goo.gl/yDloS7>

34 جورج فهمي، "الدولة المصرية والمجال الديني"، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 18/9/2014م، شوهد في 15/5/2017م، في: <https://goo.gl/ehhgYe>

المسائل المثارة مؤخراً، في معرض الخلاف ما بين الرئاسة والأزهر؛ فعندما قامت الأولى بالدعوة لتجديد الخطاب الديني والمواجهة الفكرية للإرهاب، قام الأزهر ووزارة الأوقاف بدفع الاتهامات الموجهة لهما، وألقيا باللائمة على مرجعيات الدعوة السلفية وقيادات حزب النور.

2-4-3 المؤسسة الإعلامية:

قام العديد من رموز العمل الإعلامي في مصر بشن حملات قوية ضد الوجود السلفي وحزب النور، إلى الحد الذي جعل بعضهم³⁵ يصرح بأن وجود حزب النور السلفي في مشهد 30 يونيو كان أحد أكبر أخطاء النظام الحالي، وأن السلفيين لديهم مشروعات دينية مضادة للمصالح المصرية، كما أن وجودهم يضر بالنسيج الوطني في المرحلة الحالية.

وقد أتاحت أيضاً المؤسسة الإعلامية المصرية - بشقيها الحكومي والخاص - العديد من المنابر المخصصة للهجوم على التيار السلفي وحزب النور، إلى الحد الذي جعل الشيخ ياسر برهامي يبرر هزيمة الحزب في الانتخابات البرلمانية الأخيرة بالدور الإعلامي المشبوه الذي لعبته القنوات الفضائية وممولوها ضد الحزب ومرشحيه.³⁶

3-4-3 التيار الليبرالي والقومي:

أظهر كثير من الليبراليين والقوميين المحسوبين على النظام القائم رفضهم المتكرر لمشاركة حزب النور في المشهد السياسي بعد الإطاحة بنظام الإخوان المسلمين، وتمسك هؤلاء بما ورد في الدستور المصري من مواد تمنع قيام الأحزاب السياسية على أساس ديني.

ولم يكتفِ هؤلاء بذلك، بل استغلوا كل فرصة ممكنة في التشنيع بحزب النور، والتعريض بسياسته وأفكاره، ودأبوا على اتهام مرجعيات الدعوة السلفية بالتحريض على الفتنة الطائفية وازدراء الدين المسيحي؛ في محاولة لتحشيد الأقباط ضد الحزب السلفي.

وقد ظهرت محاولة عرقلة مساعي الحزب في المشاركة السياسية من جانب مؤسسات النظام القائم بصورة واضحة في طريقة تنظيم الانتخابات البرلمانية الأخيرة؛ إذ أقرّ نظام القائمة المطلقة، مما أدى إلى

35 "هل ينتقم السيسي من حزب النور بعد دعمه للموقف السعودي؟"، عربي 21، 2016/10/15م، شوه في 2017/5/15م، في: <https://goo.gl/C7BVP7>

36 "ياسر برهامي: هناك سلبية من الدولة تجاه حزب النور"، يوتيوب، 2015/10/24م، شوه في 2017/6/10م، في: <https://goo.gl/SgiRGv>

فقد حزب النور للكثير من المقاعد التي كان بوسعه الفوز بها في حالة اعتماد نظام القائمة النسبية، فعلى سبيل المثال، رغم أن قائمة حزب النور في غرب الدلتا قد استطاعت أن تحصد ما يصل لـ 30% من مجموع أصوات الناخبين، إلا أن الحزب - مع ذلك - خسر جميع مقاعده لصالح قائمة «في حب مصر»، المدعومة بشكل واضح من أجهزة الدولة.

كل ذلك من شأنه أن يزيد من حدة الصراع في الفترة القادمة، ما بين مكونات النظام السياسي من جهة وحزب النور من جهة أخرى، حيث ستظل معظم مكونات هذا النظام تنتظر للحزب السلفي على كونه حزباً دينياً متمزناً، وأنه لا يختلف كثيراً عن حزب الحرية والعدالة وجماعة الإخوان المسلمين.

وستظل القوى المختلفة في النظام تعمل جاهدة في اتجاه تشويه صورة الحزب، والزج به عند الحديث عن أي نشاط متطرف أو إرهابي، وهو الأمر الذي من المتوقع أن يؤثر بالسلب على شعبية الحزب وجماهريته، ولا سيما في الفضاء الاجتماعي الذي يحيط به، بالإضافة إلى أنه سيتسبب في نفور القواعد السلفية الشبابية من أمر المشاركة السياسية، وسيدفع معظم تلك القواعد لتقليل مستوى تلك المشاركة، وربما تتحول أغلبية الكتلة الشبابية للحزب لحالة اللامبالاة وإهمال الشأن السياسي بالكلية.

3-5 تراجع المد الإسلامي الراديكالي في المنطقة:

يُعدّ تراجع المد الإسلامي الراديكالي في المنطقة واحداً من أهم المحددات الخارجية التي من الممكن أن ينتج عنها تغيير في شكل المشاركة السياسية للقواعد السلفية الشبابية لحزب النور.

فمما لا شك فيه، أنه ومنذ وقوع أحداث الثالث من يوليو 2013م في مصر، قد بات العنف هو السمة الغالبة والمسيطرة على التيار السياسي العام في المنطقة، وعلى الأخص في تحول الكثير من الحركات الإسلامية للعنف وحمل السلاح.

وبحسب آراء عدد من الخبراء³⁷، فإن صعود تنظيم الدولة الإسلامية وباقي الحركات السلفية-الجهادية، قد فرض تحديات كبرى على الأحزاب السياسية الدينية؛ وذلك لكون تلك الحركات الجهادية قد استطاعت أن تقدّم نموذجاً يبدو أكثر جاذبية واستقطاباً للشباب العربي، الإسلامي التوجه؛ مما ساعد على ذلك أن الجماعات الجهادية هاجمت الأحزاب الإسلامية السياسية، وبالأخص حزب النور، فعلى سبيل المثال شنّ تنظيم الدولة

37 مارك لينش، "آفاق مجهولة: الأحزاب الإسلامية ما بعد الإخوان"، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 16/12/2016م، شوهد في 10/6/2017م، في: <https://goo.gl/15EP5g>

الإسلامية هجوماً حاداً على حزب النور، في العدد العاشر من مجلته التي تصدر باللغة الإنجليزية (دابق)؛ حيث وُصف أعضاء الحزب بالمرتدين، كما وُجّه النقد لمرجعيات الحزب والدعوة السلفية.

وعلى الرغم من الهوة الفكرية الفاصلة ما بين الدعوة السلفية وحزب النور من جهة والجماعات والتيارات الراديكالية المنتشرة في المنطقة من جهة أخرى، فإن القواعد الشبابية للحزب تبقى مرشحة -وبقوة- لأن تكون المَعين الذي يستمد منه الفكر الجهادي والراديكالي، مادته الخام وقوته البشرية الأساسية.

والمتابع لحالة التنظيمات الجهادية في المنطقة، سوف يجد أنه يتم تضيق الخناق عليها بشكلٍ مطرد في كُلٍّ من سورية والعراق وليبيا واليمن؛ مما ينذر باضمحلال قوتها وضعفها في الفترة القادمة.

ومن المؤكد أن تراجع المدّ الجهادي في دول المنطقة، سوف يُلقي بظلالٍ إيجابية على المشاركة السياسية للقواعد الشبابية لحزب النور، وذلك للأسباب الآتية:

- استئثار الحزب بالدور السياسي الوحيد الذي تلعبه القوى السلفية في المنطقة عموماً، وفي مصر على وجه الخصوص.
- زيادة حجم القاعدة الشعبية الشبابية للحزب واتساعها؛ وذلك لأن التفتت الذي سيحدث في صفوف القواعد الراديكالية، سيؤدي لتغيير وجهة ومسار تلك القواعد، فعندها سيكون الحزب -بما يمتلكه من رؤية توازن ما بين القواعد الشرعية والمصالح السياسية- هو البديل الأكثر قبولاً لتلك القواعد.
- إن الإعلام المضاد للحزب، والذي لطالما سَوَّق للممارسات العنيفة التي مارسها تنظيم الدولة الإسلامية في كل من سورية والعراق تحديداً، على كونها ممارسات من الممكن أن تظهر في المجتمع المصري، في حال تمكن حزب النور من الوصول للسلطة، سوف يفقد الفزاعة الأكثر تأثيراً على المحيط الانتخابي، تلك التي تؤثر سلباً على الحزب. ولذلك، فإنه من المتوقع أن تتحرر سياسات الحزب من أحد أقوى القيود التي قد تعرقل مضيه قُدمًا في طريق المشاركة السياسية الإيجابية.

3-6 توسع الدول الخليجية في استقدام العمالة المصرية:

تُظهر الإحصائيات والدراسات الحديثة أن هناك ميلاً متزايداً من جانب قطاعات واسعة من الشباب العربي نحو الهجرة، وتُعدّ منطقة الخليج العربي من المناطق التي تستقطب المهاجرين من باقي الدول

العربية؛ لارتفاع المداخل، وتوافر فرص العمل بها³⁸، والسعودية تحديداً من الدول المفضلة عند الشباب السلفي المهاجر من مصر، وذلك لعددٍ من الأسباب، أهمها:

• طبيعة المجتمع السعودي المحافظة، والتي تقوم بالأساس على توجهٍ ديني سلفي، كما أنها تميل لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية؛ مما جعل المجتمع السعودي يميل للانغلاق والتزمت، وهي صفات مناسبة جداً عند معظم الشباب السلفي التابع لحزب النور.

• أن كلاً من حزب النور والدعوة السلفية بالإسكندرية يرتبطان بأواصر وصلات وثيقة بالمملكة العربية السعودية؛ حيث تُعدّ السعودية هي مركز الحركة السلفية في العصر الحديث، وكان لعلمائها دورٌ رائد في نشر الفكر السلفي في جميع الدول العربية، ولا سيما مصر التي تلقى فيها مرجعيات الدعوة السلفية في شبابهم تعليمهم الديني الأولي على يد عدد من كتابات ومؤلفات كبار مشايخ المملكة، من أمثال عبد العزيز بن باز، وابن العثيمين، وابن جبرين.

• العلاقات التوافقية ما بين حزب النور والمملكة، والتي ظهرت معالمها في العديد من المواقف، كان آخرها موقف الحزب من الأحداث في سورية؛ إذ أصدر حزب النور بياناً يؤكد فيه دعم المقاومة السورية المعتدلة بالأسلحة التي تمكنها من التصدي لاعتداءات الميليشيات الإيرانية وقوات النظام السوري، وهو الموقف الذي تعارض بشكل واضح مع وجهة نظر الدولة المصرية، بينما تطابق مع التوجه السعودي في الأزمّة³⁹.

كل تلك العوامل السابقة، هي عوامل تحفز هجرة شباب حزب النور للمملكة تحديداً، وتجعل منها الرغبة الأولى في قائمة الدول التي يريد الشباب السلفي الهجرة إليها. ولكن مسألة الهجرة ليست بيد الشباب السلفي المصري فقط، بل إنها تتعلق بشكل وثيق بالأوضاع داخل المملكة، والسياسات التي تتبناها بخصوص استقدام العمالة الأجنبية.

وعلى الرغم من المشكلات التي تتعرض لها المملكة على الصعيد الخارجي، فإنه يبدو أن الفترة القادمة سوف تشهد ميل الحكومة السعودية لاتباع سياسات من شأنها السماح بتدفق العديد من الشباب المصري عموماً، واتباع المنهج السلفي على وجه الخصوص، ومما يوحى بذلك:

38 المؤشر العربي 2016، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، ص37

39 "هل ينتقم السيسي من حزب النور بعد دعمه للموقف السعودي؟"، عربي 21، 2016/10/15، شوه في 2017/5/15، في: <https://goo.gl/C7BVP7>

• العلاقات الجيدة التي تربط ما بين النظامين المصري والسعودي، وهو ما يؤكد اتفاق الطرفين على الترسيمات الحدودية البحرية فيما بينهما، والزيارات المتبادلة والمتكررة ما بين قيادات البلدين، وكذلك المشاركة المصرية الفعالة في القمة الإسلامية-الأمريكية، واتخاذ قيادات الدولتين لسياسات موحدة تجاه بعض القضايا المثارة في المنطقة، وهو ما ظهر واضحاً فيما يخص الأزمة الأخيرة مع قطر.

• نية المملكة ضخ استثمارات ضخمة في بنيتها التحتية والتنمية، وهو ما يظهر في رؤية 2030⁴⁰

• حدوث انتعاش متوقع في الاقتصاد السعودي، مع تزايد تدريجي لأسعار النفط في الفترة الأخيرة.

كل تلك النقاط سوف تزيد من احتمالية هجرة الكثير من عناصر القواعد الشبابية لحزب النور للمملكة في المستقبل القريب، وهو الأمر الذي سيؤثر بالتأكيد في مستقبل المشاركة السياسية لتلك القواعد.

فلما كانت الهجرة تستهدف، في المقام الأول، الكفاءات العلمية والحرفية، والتي في الوقت نفسه هي الأكثر مشاركة في العمل السياسي، والأشد انغماساً فيه؛ بحسب الاعتقاد السائد الذي يرى أن هناك علاقة طردية ما بين المستوى العلمي والمشاركة السياسية، فمن المتوقع أن الكثير من عناصر الحزب الشبابية المؤهلة والمتقنة سوف تهجر إلى السعودية، وهو ما سينشأ عنه بالتبعية نقص للعديد من الكوادر المؤثرة والفعالة في الحزب؛ مما سيؤثر بالسلب على مشاركة الحزب السياسية المستقبلية.

خاتمة:

انقسمت الورقة البحثية إلى ثلاثة أقسام رئيسة وثيقة الصلة بموضوع البحث وبإشكاليته؛ ففي القسم الأول منها تعرضت الورقة لتاريخ الدعوة السلفية بالإسكندرية ومبادئها ومرتكزاتها، وهي الجماعة الأم التي انبثق منها حزب النور، وتناولت في القسم الثاني من الدراسة المحطات الرئيسية التي مر بها حزب النور منذ تأسيسه في عام 2011م وحتى اللحظة الراهنة، وشرحت كيف أثرت الأحداث والمستجدات السياسية في تغيير توجهات الحزب وتبديلها في بعض الأحيان، وكيف أثر ذلك على قواعده الشبابية.

أما في القسم الثالث، وهو القسم الأخير من الدراسة، فقد ركزت الورقة البحثية على شرح المحددات والعوامل التي من شأنها التأثير على المشاركة السياسية للقواعد الشبابية لحزب النور في المستقبل القريب، حيث عرضت الورقة لعددٍ من المؤثرات والمتغيرات الداخلية والخارجية، وبيّنت الكيفية التي من الممكن أن تلعبها في التأثير سلباً أو إيجاباً على مشاركة الشباب السلفي في السياسة المصرية.

40 "النص الكامل للرؤية السعودية 2030"، العربية، 26/4/2016، شهود في 10/6/2017، في: <https://goo.gl/WJ55v8>

وقد خلصت الورقة إلى أن أغلب تلك المحددات تؤكد أن مستقبل المشاركة السياسية لشباب حزب النور، سوف يسير في اتجاهٍ من اثنين: الأول، وهو اتجاه سلبي يتضمن الانعزال أو اللامبالاة والبعد عن الشأن السياسي، وربما يُسهم ذلك في إعادة توجيه أنشطة شباب الحزب، حيث ينصب تركيزهم على الاهتمام مرةً أخرى بالعمل الدعوي أو الخيري بدلاً من العمل السياسي الحزبي، ولاسيما في المناطق التي لم تفقد بها القواعد السلفية حضورها القوي، مثل معقلها الرئيس في الإسكندرية، وامتداداتها الريفية في كُلٍّ من محافظتي البحيرة وكفر الشيخ. أما الاتجاه الثاني، فهو اتجاه متطرف يميل لرفض العمل السياسي المؤسسي بالجملة، ويعمل على الخروج عن سلطة الدولة واللجوء للعنف ورفع السلاح.

وختاماً، تجدر الإشارة إلى أن المحددات التي عرضت لها الورقة في قسمها الأخير، ليست هي الوحيدة المؤثرة على الحالة محل الدراسة، بل إنه يوجد العديد من المحددات الأخرى التي تتباين من حيث القوة والفاعلية والتأثير، وتبقى مسألة مشاركتها وتأثيراتها على الأحداث مرتبهة بما يستجد من أحداث وقرارات مؤسسات الدولة، ورغبتها في توسيع نطاق المشاركة السياسية، وإتاحة الفرصة للشباب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم ورغباتهم.

قائمة المراجع

- أحمد، مبارز وآخرون. علامات في طريق القتال: ما تفصح عنه حياة مائة جهادي عن حركة عالمية. ترجمة: شريهان سعد، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، 2017م.
- تمام، حسام. عبد المنعم أبو الفتوح: شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر 1970-1984م. تقديم: طارق البشري، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2012م.
- أبو رمان، محمد وآخرون. التحولات السلفية: الدلالات، التداخيات والآفاق. عمان: فريدريش إيبيرت، 2013م.
- زاهر، معتز. من المسجد إلى البرلمان: دراسة حول الدعوة السلفية وحزب النور. لندن: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، 2015م.
- سالم، أحمد. اختلاف الإسلاميين: الخلاف الإسلامي-الإسلامي (حالة مصر نموذجًا). بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2016م.
- شلاطة، أحمد زغول. الدعوة السلفية السكندرية: مسارات التنظيم ومآلات السياسة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016م.
- طه بكر، تامر. السلفية بعيون غربية. الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 1436هـ.
- عاطف أحمد، أحمد. فتور الشريعة. ترجمة: طلعت فاروق، مراجعة: سعيد فارس حسن. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017م.
- عمارة، محمد. السلف والسلفية. القاهرة: وزارة الأوقاف، 2008م.
- فريد، أحمد. السلفية: قواعد وأصول. الإسكندرية: دار العقيدة، 2003م.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم). لسان العرب، ط3. بيروت: دار صادر، 1414هـ.
- JONATHAN A. C BROWN: Salafis and Sufis in Egypt. Washington: the Carnegie Papers، (2011).

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun_sm



مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com